دخل عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله ادباء ينظرون في كتب منها ديوان ذي الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان
المذكور فمنعه منه احد الادباء فقال يا ابا عمران اواجب ان يمنعه مني وما يحفظ منه بيتا وانا احفظه قال فاكذبته
الجماعة فقال اسمعوني واسكتوا فابتدا من اول حرف قارب نصفه فاقسمنا عليه ان يكف وشهدنا له بالحفظ وكان له
في سرعة البديهة مشهور ابدالك قال ابو الحسن بن سعيد مهدي بسقي اشبيلية يملي على احد الطلبة شعرا وعلى
ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما اخذ الحصار بحفو اشبيلية في مدة الباجي خرج خروج القارظين
ولا يدري حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال ه
كم من يد لك لا اقوم بشكرها • وبها اشير اليك ان خرست فمي • وقد استشرتك في الحديث فهل ترى
اذ يدخل العريان وكسر الهيثم • وله يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة • باب الغني كذا حكم المقادير
وانما الناس امثال الفراش فهم • بحيث تبدو مصابيح الدنانير • وله عندي لفقدك اوجال ابيت بها
كانني واضع كفي على قبس • ولا ملامة ان لم اهد نيره • حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت اودع سر الشوق في طرس • لكنني خفت ان يعدو على الطرس • وانشد له ابو سهل شيخ
الحديث بالقاهرة في املائه • قف بالكثيب لغيرك التانيب • ان الكثيب هوى لنا محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة • ولكم علينا دمعنا المسكوب • تخلي الديار من الاحبة والهوى
ابدا وتعمر اضلع وقلوب • وقال ارتجالا في صفة فرس اصفر ه
اطرف فات طرفي ام شهاب • هفا كالبرق ضرمه التهاب • اعار الصبح صفحته نقابا
نفر به وصح له النقاب • فهاجت خال الصبح واني • ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه • وضلت عن مسالكه السحاب • فيا عجبا له فضل الدراري
فكيف ازال اربعه التراب • سل الارواح عن اقصى مداه • فعند الريح قد يلقى الجواب
وقال ابو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي اهلها يسمعوا علي الغريب المصنف فقلت انظروا من
يقرا لكم وامسكت انا كتابي فاتوني برجل اعمى يعرف بابن سيدة فقراه علي من اوله الى اخره فعجبت من حفظه وكان
اعمى ابن اعمى وابن سيدة المذكور هو ابو الحسن علي بن احمد بن سيدة وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه ما كتب
به الى ابن الموفق ه • الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى • سبيل فان الامن في ذاك واليمنا
ومنها ضحيت فهل في برد ظلك نومة • لذي كبد حرى وذي مقلة وسنا • وتوفي ابن سيدة المذكور سنة ٤٥٨
وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى ومن حكايات اهل الادب والعلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان
كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس
من يفوقه في ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع
وله التصنيف الرائق والتاليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا يشتمل
على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا وتوفي المظفر
سنة ٤٦٠ وكان يحضر العلماء للمذاكرة يفيد ويستفيد رحمه الله تعالى ومن التواليف الكبار لاهل الاندلس
كتاب السماء والعالم الذي الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رايت بعضه بفاس وتوفي
ابن ابان سنة ٣٨٢ رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم واجوبة مسكتة والظرف فيهم
والادب كالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم واكابرهم ولنذكر جملة من ذكر الجملة فنقول حكي
عن عالم المرية القاضي ابي الحسن مختار الرعيني وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك
المرية الى مجلس حكم فجاء يمشي مشية قاض ثقيلا ثقيلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يا فقيه
ما هذا البطء تتاخر الى باب المجلس وطلب عصى فتمشى شابة فقال له زهير ما هذا فقال هذا يليق باستعجال
الحاجب توقع في خاطري انه عزلني عن القضاء وولاني الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا
القاضي هو القائل وقد دخل حماما فجلس بازايه عامي اساء الادب عليه • الا لعن الحمام دارا فانه
سواء به ذو العلم والجهل في القدر • تبين به الاداب حتى كانها • مصابيح لم تنفق على ظلمة الفجر
وروى ان المقري ابا عبد الله محمد بن الفراء امام النحو واللغة في زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطا خروجه
يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام في المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان
ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال يا استاذ عملت نصف بيت واريد تتمه فقال ما هو فقال ه
الا بابي شادن اوطف • فقال الاستاذ ابن الفراء بديها • اذا كان ورد لا يقطف
وثغر ثناياك لا يرشف • فاي اضطرار بنا ان نقول • الا بابي شادن اوطف
وهذا ابن الفراء هو القايل ه • قيل لي قد تبدلا • فاسل عنه كما سلا
لك سمع وناظر • وفؤاد فقلت لا • قيل غال وصاله • قلت لما غلا حلا
ايها العاذل الذي • بعذلي توكلا • عد صحيحا سالما • لا تغير فتبتلا
وتذكرت بهذا ما انشده لسان الدين في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف ه
قلت للساخر الذي • رفع الانف واعتلا • انت لم تاسن الهوى • لا تغير فتبتلا
ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله ه • شكوت اليه بفرط الدنف
فانكر من قصتي ما عرف • وقال الشهود على المدعي • واما انا فعلي الحلف
نجينا الى الحاكم الالمعي • قاضي المجون وشيخ الطرف • وكان بصيرا بشرع الهوى

ويعلم

ويعلم من اين اكل الكتف • فقلت له اقض ما بيننا • فقال الشهود على ما تصف
فقلت له شهدت ادمعي • فقال اذا شهدت تنتصف • ففاضت دموعي من حينها
كفيض السحاب اذا ما يكف • فحرك راسا الينا وقال • دعوا يا مهاتيك هذا الوصف
كذا تقتلون مشاهيرنا • اذا مات هذا فاين الخلف • واومى الى الورد ان يجتني
واوما الى الريق ان يرتشف • فلما راه حبيبي معي • ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته • كاني لام وجيبي الف • وظلت اعاتبه في الجفا
فقال عفى الله عما سلف • وحكي عن الزهري خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج
مع ولده الى وادي اشبيلية فصادفه جماعة في مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم لعبكم هذا الخروف واشار
الى ولده فقال له الزهري ما هو للبيع فقال فبكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهري فرفع رجله العرجاء وقال هو
معيب لا يجزي في الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه وركب مرة هذا النهر مع الباجي يوم خميس فلما
اصبحا وصعد الزهري يخطب يوم الجمعة والباجي حاضر قدامه نظر اليه الباجي واوما الى محل الحدث واخرج لسانه
فجعل الزهري يلمس عصى الخطبة يشير بالعصى الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى ومر العالم ابو القاسم
ابن ورد صاحب التواليف في علم القران والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه
شاعر قد عراك يبغي اباه • عندما اشتاق حسنه وشذاه • وهو بالباب مصغيا لجواب
يرتضيه الندي فماذا تراه • فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم
في النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه وحكي ان ابا الحسين سليمان بن الطراوة نحوي
المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بجام مع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدا القطوب
فاخذ ابن الطراوة الجام من يده وشربها عنه وبابردها على كبده ثم قال بديها ه
بشربها الشيخ وامثاله • وكل من تحمد افعاله • والبكر ان لم تستطع صولة • تلقي على البازل اثقاله
ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام بكاس في يده فقال ه • الا بابي وغير ابي غزال
اتى وبراحته للشرب راح • فقال منادمي في الحسن صفه • فقلت الشمس جاء بها الصباح
وقال فيمن جاء بالراح ه • ولما رايت الصبح لاح بخده • دعوتهم رفقا فقلت لكم الشمس
واطلعها مثل الغزالة وهو كالغزال فتم الطيب واكتمل الانس • وقال وقد شرب ليلة القمر
شربنا بمصباح السماء مدامة • بشاطي غدير والازاهر تنفح • وظل جهولا يرقب الصبح ضلة
ومن اكوسي لا يبرح الليل يصبح • وكان ابو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يشرب
مع ندماء ظراف في جنة بهجة نجاتهم ورقة من ثقيل يرغب في الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس
سيدي هذا مكان • لا يرى فيه بالحسبه • غير تيس مصفعاني له بالصفع كد به
اوله من شانع • فيه ينلقى بالتحيه • ايها القايل بادر • سابقا تلك المطيه
وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الازجال خليفة ابن قزمان في زمانه وكان اهل الاندلس
يقولون ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة ابي تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة
فابن قزمان ملتفت للمعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان اديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما راى
نفسه في الزجل انجب اقتصر عليه ومن شعره قوله ه • ما ضركم لو كنتم • حرفا ولو باليسار
اذا انتم نور عيني • ومطلبي واختياري • وقال الخطيب الاديب النحوي ابو عبد الله محمد بن
عبد الله بن الزرا المذكور قبل هذا بقريب الضرير في صبي كان يقرا عليه النحو اسمه حسن وهو في غاية الجمال
بعد ان ساله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال اقول ما احسني • يا حسنا مالك لم تحسن
الى نفوس بالهوى متعبه • رقمت بالورد وبالسوسن • صفحة خد بالسنا مذهبه
وقلت لي صدغك ان اجتني • منه وقد الدغني عقربه • يا حسنه اذ قال ما احسني
وبالذات اللفظ ما اعذبه • ففوق السهم ولم يخطني • واذرني ميتا اعجبه
وقال كم عاشق وكم حبني • وحبه اياي قد عذبه • يرحمه الله على انني
قتلني له لم ادر وما اوجبه • وهذا ابن الزرا من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب في فرحة
الانفس في فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القران والنحو واللغة وكانت فيه فطنة
ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوايد وذكر ان قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس
واختبره في ذلك بحكاية طويلة وذكر صفوان في زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجلة القاضي ابو عبد الله بن
الفراء المشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجايب انه ليس له ترجمة في المغرب ولما كتب امير المسلمين
يوسف بن تاشفين الى اهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه اما بعد
فما ذكره امير المسلمين من اقتضاء المعونة وتاخري عن ذلك وان القاضي الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة
والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه
في قبره ولا يشك في عدله فليس امير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره
ولا من لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك بمنزلته في العدل فالله سايلهم عن تقلدهم فيك
وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم
واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من اهل العلم وتحلف ان ليس

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)